المقصد الشرعي من عمارة الأرض ودور الشباب فيه قراءة في الرأي الفقهي لابن حجر الهيتمي في إحياء الأرض الموات

" The legal purpose of building the land and the role of youth in it. A reading of the jurisprudential opinion of Ibn Hajar Al-Haytami on reviving the dead land".

بحث مستل من رسالة ماجستير بعنوان:"
"الاختيارات الفقهية لابن حجر الهيتمي المتوفى ٩٧٤هـ
في المعاملات المالية من خلال كتاب (تحفة المحتاج
بشرح المنهاج)دراسة فقهية مقارنة بين المذاهب الأربعة"

إعداد الدراس
جمال ربيع أمين جمعة

طالب ماجستير بقسم الشريعة الإسلامية بالكلية

Jamal Rabie Amin Juma

Master's researcher in the Islamic Sharia Department at the college

ملخص البحث:

إن مرحلة الشباب من أهم المراحل العمرية والفترات الزمنية التي تستحق الرعاية والاهتمام، وحسن الاستثمار لها، وذلك لما تمتاز به من خصائص عدة تسهم بشكل مباشر في بناء الأوطان وتعمير البلدان في حال تم الاهتمام بها على الوجه الصحيح وفق تعاليم الدين الإسلامي الحنيف.

وعبر دراسة الاختيارات الفقهية في كتاب تحفة المحتاج بشرح المنهاج وجدت رأيًا فقهيًا للإمام ابن حجر الهيتمي تتسع معه دلالة إحياء الأرض الموات وتعمير الأرض؛ حيث قال رحمه الله: " ويَخْتَلِفُ الإحياء بِحَسَبِ الْغَرَضِ الْمَقْصُودِ مِنْهُ، وقَدْ أَطْلَقَهُ الشَّرْعُ ولا حَدَّ لَهُ. . . ، وأَرَاضِي الْجِبَالِ الَّتِي لا يُمْكِنُ سَوْقُ مَاءٍ إليها ولا يَكْفيها الْمَطَرُ تَكْفِي الْحِرَاثَة وجَمْعُ التُّرَابِ. . لا الزِّرَاعَة فَلا يُشْتَرَطُ في إحْيَائِهَا في الأَصَحِّ"

ونظرًا لأهمية هذا الرأي الفقهي وما يتضمنه من غايات سامية يعود أثرها على المجتمع أجمع، وفي القلب منهم الشباب بوصفهم بناة الأوطان، فقد عزمت الأمر على دراسة هذا الرأي الفقهي للإمام ابن حجر الهيتمي.

الكلمات المفتاحية: المقصد الشرعي؛ الأرض الموات؛ ابن حجر الهيتمي.

Research Summary:

The youth stage is one of the most important stages of life and time periods that deserve care and attention, and a good investment in it, because of its many characteristics that contribute directly to building homelands and reconstructing countries if they are taken care of properly according to the teachings of the true Islamic religion.

By studying the jurisprudential choices in the book Tuhfat al-Muhtaj Bi Sharh al-Minhaj, I found a jurisprudential opinion of Imam Ibn Hajar al-Haytami, which expands with him the significance of reviving the dead land and rehabilitating the land.

In view of the importance of this jurisprudential opinion and the lofty goals it contains that have an impact on the whole society, and in the heart of them are the youth as the builders of the homelands, I decided to study this jurisprudential opinion of Imam Ibn Hajar Al-Haytami.

Keywords: legitimate purpose; dead land; Ibn Hajar Al-Haytami.

مقدمة:

الحمد لله الذي بحمده تتعبد الأمم، وبشكره تزيد النعم، وباسمه ينصلح أمر الدنيا والآخرة، والصلاة والسلام على خير ولد آدم محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا وبعد،

إن الإسلام يقدس البناء والتعمير ويدعو إليهما، لأنهما عصب الحياة ومن أهم سبل تقدم الأمم والمجتمعات، وقد خلق الله سبحانه وتعالى الكون وهيأ فيه الظروف المثلى للحياة السعيدة المستقرة، ثم استخلف فيه الإنسان بقصد عمارة الكون وإنمائه واستغلال كنوزه وثرواته.

وإن مرحلة الشباب من أهم المراحل العمرية والفترات الزمنية التي تستحق الرعاية والاهتمام، وحسن الاستثمار لها، وذلك لما تمتاز به من خصائص عدة تسهم بشكل مباشر في بناء الأوطان وتعمير البلدان في حال تم الاهتمام بها على الوجه الصحيح وفق تعاليم الدين الإسلامي الحنيف.

من أجل ذلك فقد أكد الإسلام على أهمية فترة الشباب، ونبه إلى ضرورة الاهتمام بها ومن ذلك حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي أشار إلى اختصاص مرحلة الشباب بالسؤال عنها يوم القيامة، كما عند الترمذي من حديث ابن مسعود رضي الله عنه :(لا تزول قدما ابن أدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيما أفناه ؟ وعن شبابه فيما أبلاه ؟ وماله من أين اكتسبه؟ وفيما أنفقه؟ وماذا عمل فيما عمل)[1]

وعمارة الأرض: بإصلاحها وإحيائها وإشاعة الحياة والنماء فيها، حتى يكون فيها جنّات من نخيل وأعناب، وحدائق ذات بهجة، وثمر ينظر إلى ينعه، ويؤكل منه، ويؤخذ حقه يوم حصاده، وأنعام وخيل، وأنهار وديار، وصناعة وتجارة.. إلى آخر ما لابد للحياة منه.

إن الشباب يمتلكون قدرات عظيمة يمكن أن توظف التوظيف الصحيح، فالإسلام يعتبر سعي الإنسان على نفسه وولده جهاداً وعبادة يثاب عليها في الآخرة، ولو فطن الشباب إلى هذه الحقيقة لما توانى أحدهم لحظة في أداء عمله، بل إنه يسارع إليه بجودة وإتقان وإخلاص، لا من أجل الحصول على المال فسحب، وإنما من أجل بناء وتعمير بلده ووطنه، ومن أجل الثواب الجزيل والأجر العظيم الذي أعده الله له في الآخرة.

وعبر دراسة الاختيارات الفقهية في كتاب تحفة المحتاج بشرح المنهاج وجدت رأيًا فقهيًا للإمام ابن حجر الهيتمي تتسع معه دلالة إحياء الأرض الموات وتعمير الأرض؛ حيث قال رحمه الله: " ويَخْتَلِفُ الإحياء بِحَسَبِ الْغَرَضِ الْمَقْصُودِ مِنْهُ، وقَدْ أَطْلَقَهُ الشَّرْعُ ولا حَدَّ لَهُ. . . ، وأَرَاضِي الْجِبَالِ الَّتِي لا يُمْكِنُ سَوْقُ مَاءٍ إليها ولا يَكْفيها الْمَطَرُ تَكْفِي الْحِرَاثَة وجَمْعُ التُّرَابِ. . لا الزِّرَاعَة فَلا يُشْتَرَطُ فِي إحْيَائِهَا فِي الأَصَحِّ"[2]

ونظرًا لأهمية هذا الرأي الفقهي وما يتضمنه من غايات سامية يعود أثرها على المجتمع أجمع، وفي القلب منهم الشباب بوصفهم بناة الأوطان، فقد عزمت الأمر على دراسة هذا الرأي الفقهي للإمام ابن حجر الهيتمي، عبر مبحثين:

المبحث الأول: يتناول ترجمة للإمام ابن حجر الهيتمي، ويتضمن:

المطلب الأول: اسمه ونسبه

المطلب الثاني: مولده

المطلب الثالث : طلبه للعلم، ومقروآته، ورحلاته.

المطلب الرابع: شيوخه

المطلب الخامس: تلاميذه

المطلب السادس: عقيدته

المطلب السابع: وفاته وثناء العلماء عليه

المبحث الثاني: مسألة إحياء الموات وأثرها في إعمار الأرض

متبعًا في ذلك منهجًا محددًا في تحرير المسألة، يتمثل في:

١- أبدأ بوضع عنوان مناسب للمسألة.

٢- أقوم بذكر إختيار ابن حجر الهيتمي رحمه الله في المسألة وذلك بنقل نص كلامه من كتابه.

٣- أذكر في المسألة إختيار ابن حجر الهيتمي رحمه الله فيها باختصار.

٤- أقوم بذكر رأي أصحاب المذاهب الأربعة علي الترتيب، موافقين لإبن حجر الهيتمي (رحمه الله) في إختياره أو مخالفين له ، مع ذكر الأدلة التي استند عليها كل مذهب ، ذاكرا وجه الدلالة فيما استدلوا به.

٥- أذكر الرأي الراجح في المسألة وفق ما يظهر من قوة الدليل ومدى تمشيته مع مقاصد الشريعة ثم أذكر سبب الترجيح.

المبحث الأول: التعريف بابن حجر الهيتمي رحمه الله

ويشتمل على:

المطلب الأول: اسمه ونسبه

هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن بدر الدين محمد بن شمس الدين محمد بن نور الدين[٣].

علي بن حجر (السلمنتي)[٤] أصلا، والهيتمي مولدا، والأزهري مربا ومنشأ، والصوفي إرشادا، والجنيدي اتباعا وانقيادا، والأشعري اعتقادا، والشافعي مذهبا، والوائلي السعدي الأنصاري. نسبا ، والمكي مدفنا.

السلمنتي: نسبة إلى أصل وطنه سلمنت" من بلاد بني حرام بمصر، عاش فيها جده، ثم لما كثرت الفتن في تلك البلاد انتقل منها إلى الغربية ، فسكن محلة أبي الهيتم واستوطنها استراحة من شر أهل الشرقية وفتنهم، وتعرض السلاطين لهم لتعرضهم لهم[٥].

الهيتمي: نسبة إلى محلة الهيتم – بالتاء المثناة الفوقية[٦].

قال نجم الدين الغزي)[٧]: " وأما ما يقع لبعض المتشدقين من قراءته بالمثلثة فلم أقف عليه في كلام أئمة المنقول[٨]. ويقال: أنها بالمثلثة فغيرتها العامة)[٩].

ومحلة أبي الهيتم هذه من إقليم الغربية ، قرية بمصر")[١٠]. فيها ولد الشهاب ابن حجر بعد انتقال أهله عن بلدهم الأصلي سلمنت[١١]. وكان أهل هذه المحلة على غاية من الديانة واتباع طريق الصوفية وفيهم حفاظ كثيرون للقرآن العظيم، مداومون لقراءته. ولذا آثر جده الاستيطان بها)[١٢]. السعدي: نسبة إلى بني سعد بإقليم الشرقية من مصر)[١٣]. الأنصاري: باعتبار المشهور في بني سعد أنهم من الأنصار)[١٤]، لكن ابن حجر كان يمتنع من كتابة الأنصار تورعا[١٥]. ابن حجر: اشتهر الشهاب بذلك نسبة إلى أحد أجداده كان قد اشتهر بـ الحجر" وسبب ذلك: أنه كانت له شهرة بين قومه بأنه من أكابر شجعنهم، وابطال فرسانهم، ومع ذلك كان ملازما للصمت

لا يتكلم إلا لضرورة . وإلا فهو مشغول عن الناس بما من الله عليه به. فشبهوه بحجر ملقي لا ينطق فقالوا: حجر. ثم اشتهر بذلك[١٦]. وقد شارك الشهاب ابن حجر الحافظ العسقلاني في هذه الشهرة فيقال في حق العسقلاني: الحافظ ابن حجر. وفي حق الهيتمي: الفقيه ابن حجر. إذ الأول جل صناعته الحديث. والثاني الفقه. مع مشاركة كل منها في فن الآخر[١٧].

المطلب الثاني: مولده

وقع اختلاف بين المترجمين له في تعيين سنة ولادته، وفي ذلك أربعة أقوال:

الأول: أنها سنة تسع وتسعين وثمانمائة للهجرة[١٨].

الثاني: أنها سنة ثمان وتسعمائة للهجرة[١٩].

الثالث: أنها سنة تسع وتسعمائة للهجرة[٢٠].

الرابع: أنها سنة أحدى عشرة وتسعمائة للهجرة[٢١].

والصحيح من هذه الأقوال هو الثالث القائل بأنه ولد سنة تسع وتسعمائة هجرية وذلك لأن أبا عمرو[٢٢] – تلميذ ابن حجر– صرح في ترجمة شيخه أنه شوه بخطه سنة ولادته في تسع وتسعمائة[٢٣]. وهذا قاطع للنزاع بلا ريب.

المطلب الثالث: طلبه للعلم، ومقروآته، ورحلاته[٢٤].

إن والد ابن حجر مات وولده صغير، فكفله جده المعمر، وكان قد حفظ القرآن الكريم والمنهاج" للإمام النووي. ثم لما مات جده كفله شيخا أبيه الإمامان شمس الدين ابن أبي الحمائل وشمس الدين الشناوي فبالغا في رعايته. ثم نقله شيخه الشناوي إلى مقام العارف بالله السيد أحمد البدوي في طنطا، فقرا هناك مبادئ العلوم على عالمين كانا به. وفي سنة أربع وعشرين وتسعمائة نقله الشناوي إلى الجامع الأزهر، وسلمه لرجل صالح من تلامذته، فأقراه متن" المنهاج" وغيره. وجمعه بعلماء مصر مع صغر سنة . وقرا هناك أيضا مختصر أبي شجاع" على شيخه أبي عبد الله محمد الجويي. ولازمه مدة)[٢٥]. وفي الأزهر الشريف نبغ ابن حجر، حيث جد

فيه واجتهد قراءة وتحصيلا على أئمته وعلمائه ممن طبقت شهرتهم الأفاق، فدار على حلقات كثيرين منهم، طالبة سائر ما اشتهر تدريسه من العلوم، فـــاجتمع بشـــيخ الإسلام القاضي زكريا الأنصاري)[٢٦] وأكثر الأخذ عنه، وكان الشيخ زكريا يدعو له كلما لقيه ، قال ابن حجر: ما اجتمعت به قط إلا قال: اسأل الله أن يفقهـــك في الدين وقد حقق الله تعالى هذه الدعوة فيه حتى صار أفقه أهل عصره، مقدما فيـــه، عمدة للشافعية في أبحاثه وفتاويه . واجتمع أيضا بالإمامين زين الدين عبـــد الحـــق السنباطي والإمام محلي ومن في طبقتهما فقرأ عليهم في الحديث وفنونه. وسمع بعض كل من الكتب الستة . وأجازوا له بباقية ا وبغيرها، وأما اجازات المشايخ له فكثيرة جدا استوعبها في تثبته ومعجم شيوخه[٢٧].

وهكذا مازال ابن حجر ينتقل في الأزهر من درس إلى درس، ويدور على شـــيوخه، طالبا تحقيق العلوم، وتحرير هاتيك الرسوم، كل ذلك مع دقة الفهـــم والملاحظـــة ، وجودة ما رزق من الحافظة ، فأكمل الطلب وأجاد، مع علو الكعب والإسناد، فما وسع شيوخه إلا إجازته، بكل ما يخص أو يعم نفعه وحاجته، قال رحمه الله مخبرا عن نفسه: "كنت بحمد الله ممن وقفت برهة من الزمان في أوائل العمر بإشارة مشـــايخ أرباب الأحوال، وأعيان الأعيان، لسماع الحديث من المسندين، وقراءة ما تيسر من كتب هذا الفن على المفسرين، وطلب الإجازة بأنواعها المقررة في هذا العلم الواسعة ارجاؤه، الشاسعة مع الناس أنحاؤه، والملازمة في تحصيل العلوم الإليه، والعلوم العقلية ، والقوانين الشرعية ، لا سيما علم الفقه واصله تفريعا وتأصيلا [٢٨].

هذه هي حياة الشهاب ابن حجر العلمية ، حياة حافلة بالطلب والعلم والتربية مع ما كان يلاقيه من الجوع والإيذاء وهو صابر محتسب، بغية أن يفتح الله تعالى عليه وقد كان.

المطلب الرابع: أهم شيوخه

هناك جملة كبيرة من شيوخ ابن حجر الذين لازمهم وقرا عليهم علوم الشرع والاته وهؤلاء – كما يعلم من تراجمهم – أئمة فيما كانوا يتصدون لإقرائه من العلوم، شهد لهم بذلك اقرأنهم، مع ما جمعوه مع ذلك من حسن العمل والسلوك لي الله تعالي، والقيام بواجب حقه سبحانه، وهذا كله كان له التأثير الكبير علي شخصية ابن حجر سواء العلمية والعملية. وسأذكر مقاصد من تراجم بعض شيوخه فأقول:

١- شيخه زكريا الأنصاري: هو زين الدين أبو يحي زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري السنيكي ثم القاهري المصري الأزهري الشافعي (٨٢٣ – ٩٢٦هـ)[٢٩]. قال الغزي: زكريا ابن القاضي زين الدين الأنصاري: الشيخ الإمام، شيخ مشايخ الإسلام، علامة المحققين، وفهامة المدققين، ولسان المتكلمين، وسيد الفقهاء والمحدثين، الحافظ المخصوص بعلو الإسناد، والملحق للأحفاد بالأجداد، العالم، العامل، والولي الكامل، الجامع بين الشريعة والحقيقة، والسالك إلى الله تعالى أقوم مسالك الطريقة، مولانا وسيدنا قاضي القضاة، أحد سيوف الحق المنتضاة،[٣٠]. نفقه بشيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلاني، وفقيه الوقت شرف الدين موسي بن أحمد السنيكي، وعلم الدين صالح البلقيني، وغيرهم. وأخذ العربية والأدب والأصول والمعقولات عن الحافظ بن حجر، والمحيوي، والكافيجي، والتقي الحصكفي، وغيرهم. قال تلميذه بن حجر: وعمّر حتي انفرد في وقته بعلو الإسناد، ولم يوجد في عصره الا من أخذ عنه مشافهة أو بواسطة أو بوسائط "[٣١]. له مصنفات كثيره منها: المنهج وشرحه، وشرحان علي البهجة المرضية لابن الوادي منظومه في الفقه الشافعي، وشرح الروض، وشرح مختصر أدب القضاء للغزي، وشرح علي الكافية لابن الهائم في الفرائض، وشرح علي صحيح البخاري، وتفسير للقران الكريم. وغير ذلك في الفقه والأصول والمنطق وغيرها.

٢- زين الدين عبد الحق السنباطي: هو عبد الحق بن محمد بن عبد الحق السنباطي القاهري الشافعي (١٤٢ – ٩٣١ هـ)[٣٢] قال الغزي: الإمام شيخ الإسلام الحبر البحر، العلامة الفهامة ، . خاتمة المسندين "[٣٣]. تتلمذ علي الإمامين المحققين الكمال بن الهمام الحنفي، والجلال المحلي الشافعي، وعلي علم الدين الصالح البلقيني، الشمس الدواني، وغيرهم. وأجازه. الحافظ ابن حجر العسقلاني[٣٤]. كان جلدا في تحصيل العلم، مكبا علي الاشتغال به حتي برع وانتهت إليه الرئاسة بمصر في الفقه والأصول والحديث، وكان عابدا متواضعا طارحا للتكليف، من رآه شهد فيه الولاية والصلاح قبل أن يخالطه[٣٥]. وقال العيدروس: وأقام بمكة بأولاده وعائلته وأقاربه وأحفاده ليموت بأحد الحرمين فانتعشت به البلاد، واغتبط به العباد، وأخذ الناس عنه طبقة بعد آخري. . ولا زال علي ذلك إلي أن توفي بمكة المشرفة ".[٣٦].

٣- شهاب الدين أحمد الرملي: هو أحمد بن حمزه الرملي المنوفي المصري الأنصاري الشافعي (ت٩٥٧هـ). والد الإمام شمس الدين محمد الرملي الشافعي صاحب نهاية المحتاج ". قال الغزي: الشيخ العالم العلامة ، الناقد الجهبذ الهامة ، شيخ الإسلام والمسلمين. . ، وهو أخذ الاجلاء، من تلاميذه شيخ الإسلام القاضي زكريا الأنصاري، كان مقدما عنده، حتي أذن له أن يصلح في مؤلفاته في حياته وبعد مماته، ولم يأذن لأحد سواه في ذلك، . . انتهت إليه الرئاسة في العلوم الشرعية بمصر، حتي صارت علماء الشافعية بها كلهم تلامذته إلا النادر"[٣٧]. وقال الشعراني: وهو أعلم في اعتقادنا من جميع أقرانه"[٣٨]. ومن أعظم تلامذته أقطاب الشافعية المتأخرين، والده: الشمس محمد الرملي، والشمس محمد الخطيب الشربيني، والشهاب ابن حجر الهيتي. ومن مؤلفاته شرح عظيم علي صفوت الزبد منظومة ابن رسلان في الفقه، جمع فيه غالب ترجيحاته، وفتح الجواد بشرح منظومة ابن العماد في المعفوّات من النجاسات، وفتاوي جمعها ولده الشمس محمد[٣٩].

المطلب الخامس: أهم تلاميذه

لقد كان للشهاب ابن حجر صيت واسع بين علماء عصره، أهله لأن تكثر التلامذة على أبواب درسه، خصوصا في مكة المكرمة ؛ حيث ازدحم عليه الناس من شتى الأقطار يحملون عنه الفقه والحديث وغيرهما من العلوم، فصار فيها كعبة لكل قاصد سواء لتحصيل العلوم وتحرير الفنون، أو الجواب على الاستفتاءات والعويصات من المسائل الخفيات. قال ابن العماد: . أخذ عنه من لا يحصى كثرة ، وازدحم الناس على الأخذ عنه، وافتخروا بالانتساب إليه[٤٠].

وقال الشهاب الخفاجي: "فكم حجت وفود الفضلاء لكعبته، وتوجهت وجوه الطلب إلى قبلته[٤١]. وقال العيدروس: "طالما طاب للواردين من منهل تدريسه صفاء المشرب، وطالما طاف حول كعبة مناسكه من الوافدين من يريد وفاء المأرب، فوقع له قلم الباري في إرشاد المقرئ والقاري، كواكب سيارة في منهاج سماء الساري، يهتدي بها المهتدون، تحقيقا لقوله تعالى (وبالنجم هم يهتدون[٤٢]

وإليك مقاصد من تراجم بعض تلاميذه:

١- نور الدين الزيادي: هو علي بن يحيى الزيادي بفتح الزاي وتشديد الياء المصري الشافعي (ت ١٠٢٤هـ) قال الغزي: "الشيخ الإمام العلامة الحجة القدوة الفهامة، . . . خاتمة العلماء المتبحرين بمصر"[٤٣]. وقال المحبي: "الإمام الحجة ، العلي الشأن، . . . بلغت شهرته الآفاق، وتصدر التدريس بالأزهر، وانتهت إليه في عصره رياسة العلم، بحيث إن جميع علماء مصر ما منهم إلا وله عليه مشيخة ، وكان العلماء الأكابر تحضر درسه وهم في غاية الأدب، . . . وكان منقطعا للاشتغال بالفتوى، وكان إذا أتم الدرس يجلس بباب دكان بقرب باب الجامع للفتوى، وكان يصلي إماما بصحن الجامع الأزهر إذا أذن المؤذن دائما، ويتم الفرض قبل أن يفرغ المؤذن من الأذان"[٤٤]. من شيوخه: الشهاب أحمد الرملي، وولده الشمس محمد، والشهاب عميرة البرلسي، وشهاب الدين أحمد البلقيني. وغيرهم)[٤٥].

ومن تلامذته: البرهان اللقاني، والنوران الحلبي والأجهوري، والشمسان الشوبري والبابلي، والشهاب القليوبي وغيرهم[٤٦]. ألف مؤلفات نافعة منها: حاشية على شرح المنهج الشيخ الإسلام زكريا، وشرح على المحرر للإمام الرافعي وغير ذلك[٤٧].

٢- شهاب الدين ابن قاسم العبادي: هو أحمد بن قاسم العبادي القاهري الشافعي (ت ٩٩٤هـ). قال الغزي: "الشيخ العلامة الفهامة ، . . . . كان بارعا في العربية والبلاغة والتفسير والكلام اه)[٤٨]. وقال ابن العماد: " الإمام العلامة الفهامة ، . . . برع وساد وفاق الأقران، وسارت بتحريراته الركبان، وتشنفت من فرائد فوائده الآذان" اه)[٤٩]. أخذ العلم عن: الشيخ ناصر الدين اللقاني، ومحقق عصره شهاب الدين عميرة البرلسي، وقطب الدين الأيجي الصفوي[٥٠]. له تصانيف منها: حاشية على جمع الجوامع سماها: الآيات البينات، وحاشية على الورقات في الأصول، وحاشية على شرح المنهج وغير ذلك[٥١].

٣- جمال الدين الأشخر: هو محمد أبو بكر الأشخر- بالشين المعجمة الساكنة والخاء بعدها راء- اليمني الشافعي (٩٤٥-٩٩١هـ). قال العيدروس: "وأحد الدهر، وشافعي العصر، الفاضل الكامل، سابق الأوائل، شيخ الإسلام، ومفتي الأنام، الفرد الإمام، الحافظ الحجة . . . ، إمام الفنون، الذي اعترف بتقدمه المفتون، بالتصانيف المفيدة والتأليف العديدة ، والشروح الفائزة من العلوم بالقدح المعلى، والمناظيم المشحونة بالنكت التي أقمار دقائقها شارقة في كل مجلى")[٥٢]. أخذ عن: الإمام ابن زياد اليمني، والإمام إبراهيم بن مطير. وغيرهما)[٥٣]. وتخرج به جماعة منهم: أخوه العلامة أحمد الأشخر، والفقيه محمد بن إسماعيل بأفضل، والفقيه جمال الدين بن محمد الطيب المكدس[٥٤].

له مؤلفات كثيرة منها: شرح شذور الذهب، ومنظومة في أصول الفقه وشرحها، ومختصر المحرر للسمهودي في تعليق الطلاق، وألفيه في النحو نظمها في مرض موته، وفتاوى في مجلد ضخم، وغير ذلك[٥٥].

المطلب السادس: عقيدته

كان شيخ الإسلام الشهاب ابن حجر يدين بمعتقد أهل السنة والجماعة الأشاعرة . أتباع الإمام ناصر السنة الشيخ أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري البصري (٢٦٠-٣٢٤هـ) من سلالة الصحابي الجليل سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه. وقد صرح ابن حجر بنسبته إلى الأشعرية اعتقادا في آخر ثبته المسمى بـ "الإجازة في علم الحديث: :[٥٦].

المطلب السابع: وفاته وثناء العلماء عليه

أولا: وفاته:

اختلفت أقوال المترجمين في تعيين سنة وفاته، وذكر فيها أقوال أربعة:

الأول: أنها سنة أربع وستين وتسعمائة للهجرة[٥٧].

الثاني: أنها سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة للهجرة[٥٨].

الثالث: أنها سنة أربع وسبعين وتسعمائة للهجرة[٥٩].

الرابع: أنها سنة خمس وتسعين وتسعمائة للهجرة[٦٠].

أما القولان الأول والرابع: فكلاهما غلط كما جزم به الكتاني[٦١]. وكلامه صحيح بتاييد أن جمهور المترجمين له ممن عاصره كتلميذه باعمرو، أو جاء بعده بقليل كالعيدروس والخفاجي وابن العماد والغزي، ومن جاء بعدهم أيضا متفقون على أنه توفي أما في سنة ثلاث وسبعين أو في أربع وسبعين. فبعضهم يجزم بالأول وبعضهم بالثاني. وبعد أن يتوارد مثل هؤلاء المحققين على خطا يزيد على عشرين سنة ، والذي يظهر أن وفاته كانت في سنة أربع وسبعين (٩٧٤هـ) اعتمادا على ما قاله تلميذه باعمرو. قال باعمرو: " وكان ابتداء مرضه الذي انتقل فيه في شهر رجب،

فترك التدريس نيفا وعشرين يوما، ووصى يوم السبت الحادي والعشرين من الشهر المذكور، وتوفي ضحوة يوم الاثنين الثالث والعشرين منه سنة أربع وسبعين وتسعمائة . وحصل للناس من الأسف عليه مالا يوصف، وازدحموا على جنازته يتبركون بحملها حتى كاد يطأ بعضهم بعضا، ورؤي في أثناء الطريق من نعالهم التي تقطعت حالة الازدحام وتركوها شيء كثير، ودفن في المعلا بالقرب من مصلب ابن الزبير، وجعل عليه تابوت من خشب(٦٢). قال الغزي: " ومما اتفق. أنه أشيع موته بدمشق في سنة أحدى وسبعين فصلي عليه بها غائبة وعلى محمد أفندي ابن المفتي أبي السعود المتوفي بحلب في يوم الجمعة خامس عشري شعبان منها، ثم تبين بعد ذلك أن ابن حجر حي، ثم ورد الخبر إلى دمشق بموته وموت السيد عبد الرحيم العباسي البيروتي في ثاني عشر شوال سنة أربع وسبعين فصلي عليهما معا غائبة في يوم الجمعة سادس شوال بالأموي رحمه الله تعالى(٦٣).

ثانيا: ثناء العلماء عليه:

١- قال الإمام الشهاب الخفاجي: " علامة الدهر خصوصا الحجاز، فإذا ما نشرت حلل الفضل فهو طراز الطراز، إن حدث عن الفقه والحديث، لم تتفرط الآذان بمثل أخباره في القديم والحديث، فهو العلياء والسند، ومن تفك سهام أفكاره الزرد، ولود الليالي عن مثله عقيم، ودرياق نفثات طبعه السليم شفاء كل سقيم، نشرت على الدنيا خلع الفرح، وتزينت ببديع صفاته المدح، وهو من أجل مشايخ والدي، الذي ورثت من علمه طريفي وتالدي"(٦٤).

٢ – قال الإمام ابن الغزي: "إمام الحرمين، ومفتي العراقيين، شيخ الإسلام، العلامة المحقق(٦٥).

٣- قال العلامة الشيخ منصور الطبلاوي ت١٠١٤هـ مجرد حواشي شيخه الإمام ابن قاسم العبادي على "التحفة " ما نصه: خاتمة أهل التصنيف، وخطيب ذوي

التأليف، إمام العلماء المحققين، ولسان الفقهاء المدققين، مولانا شيخ مشايخ الإسلام والمسلمين، عالم الحرم الأمين، شهاب الملة والدين ابن حجر الهيتمي ثم المكي"[٦٦].

٤- قال الشوكاني: "كان زاهدا متقللا على طريقة السلف، بالمعروف، ناهيا عن المنكر، واستمر على ذلك حتى مات"[٦٧].

٥- قال العلامة علي باصابرين: " والذي تلقيناه من المشايخ أن المجد في المائة العاشرة : الشيخ أحمد بن حجر الهيتمي أو الإمام محمد الرملي. ورجحه بعضهم؛ لكون الإمام ابن حجر مات قبل مضي القرن"[٦٨].

المبحث الثاني: حكم إحياء الموات

نص الإمام:

قال الإمام أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي رحمه الله: " ويَخْتَلِفُ الإحياء بِحَسَبِ الْغَرَضِ الْمَقْصُودِ مِنْهُ، وقَدْ أَطْلَقَهُ الشَّرْعُ ولا حَدَّ لَهُ. . . ، وأَرَاضِي الْجِبَالِ الَّتِي لا يُمْكِنُ سَوْقُ مَاءٍ إليها ولا يَكْفيها الْمَطَرُ تَكْفِي الْحِرَاثَة وجَمْعُ التُّرَابِ. . لا الزِّرَاعَة فَلا يُشْتَرَطُ في إحْيَائِهَا في الأَصَحِّ"[٦٩]

أولا: مفهوم الإحياء:

الإحياء لغة : مصدر أحيا، وهو جعل الشيء حياً، أو بث الحياة في الهامد، ومنه قولهم: أحياه الله تعالى أي جعله حيا، وأحيا الله تعالى الأرض أي: جعلها حية بعد ما كانت ميتة ، قال تعالى: (واللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا)سورة فاطر اية ٩[٧٠].

واصطلاحا: هو أن يعمد المكلف إلى الأرض الميتة التي لم يتقدم أحد قبله إلى إصلاحها وإحيائها، فيحيها بالحرث والسقي والغرس والرعاية إلى ما غير ذلك من طرق الإصلاح والاستثمار والإحياء الأخرى[٧١].

وإن لفظ (موات) هو من المجاز وليس الحقيقة ، والمراد به الأرض غير المنتجة أو ما يطلق عليها بـ (الأرض البور) ووجه الشبه بين الموات وحقيقة الموت هو عدم الحركة والسكون، أو موت ما عليها من نبات حي وغيره، فأُطلق على تعطيل الأرض عن الإنتاج بالأرض الميتة، وأُطلق على إصلاحها وزراعتها بالإحياء[٧٢].

والموات لغة : مشتق من الموت، ومعنى الموت عدم الحياة ، وأصل الموت في اللغة : ذهاب القوة من الشيء، وهو خلاف الحياة ، وقيل: هو السكون، فيقال: ماتت الريح أي: سكنت، وماتت النار أي: لم يبقى من الجمر المتقد شيء، وعلى هذا الأساس يكون معنى الأرض الموات: هي الأرض المعطلة التي لا نفع منها[٧٣].

واصطلاحا: هي الأرض التي تعذر زراعتها لانقطاع الماء عنها، أو لغلبته عليها، أو الأرض غير الخصبة (السبخة) أو الخصبة والمتوفر سقيها بالطرق الارتوازية ولكن تُركت تعمدا وعبثا، وذلك أن تكون غير مملوكة ، واختلف الفقهاء في بعدها عن العامر(٧٤).

ومن خلال التعريفين اللغوي والاصطلاحي يظهر أن: التعريف الاصطلاحي لم يخرج عن المفهوم العام للتعريف اللغوي، فالإحياء عند أهل اللغة وفقهاء الشريعة الإسلامية هو: إعمار الأرض الميتة أو البور غير المنتجة، وأن يعمد المكلف إلى إعمارها وإصلاحها، ما لم يكن أحد قبله قام بذلك.

ثانيا: تحرير المسألة:

اتجه الفقهاء إلى تأسيس فقه إحياء الأرض الموات، وطرق إعمارها وتحويلها إلى أرض منتجة امتثالا لقوله تعالى: (هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ واسْتَعْمَرَكُمْ فيها فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إليه) سورة هود آية ٦١.

وجه الدلالة من الآية :

أي أن الله أمركم بعمارتها لتمنحكم ما تحتاجونه منها من خدمات ومنافع متعددة(٧٥).

اختيار الإمام ابن حجر:

ذهب الإمام: إلى أنه لا يشترط في إحياء أراضي الجبال الزراعة، وما ذهب إليه الإمام اختلف الفقهاء فيه.

القول الأول: المشهور عن الحنفية ثبوت الإحياء بستة طرق هي:

١- زراعة الأرض بالمحاصيل الزراعية المؤقتة .

٢- غرسها بالأشجار المثمرة الدائمة .

٣- إنشاء الأبنية عليها، كالمساكن وغيرها.

٤- شق المجاري المائية وتصريف المياه (المبازل) وجداول السقي ومخازن الماء إلى ما غير ذلك من الاستخدامات المائية الأخرى.

يقول الإمام السمرقندي[٧٦]: "والإحياء أن يبني ثمة بناء أو يحفر نهراً أو يجعل للأرض مسناة ونحو ذلك، فإذا وضع أحجاراً حولها وجعل ذلك حداً فإنه لا يصير ملكاً له ولكن هو أحق بالانتفاع بها بسبق يده على ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم: "منى مناخ من سبق"[٧٧].

٥- وقال أبو يوسف[٧٨]: إعمار الموات هو كربها فقط.

٦- وقال أيضا: يتحقق إعمار الأرض الموات في سقيها فقط، أما اذا كُربت ثم سُقيت فهو إحياء بإجماع الفقهاء؛ لئلا يكون كراب الأرض وسقيها إلا بعد زراعتها، بينما قال محمد بن الحسن أحد تلاميذ أبي حنيفة : إن وجد الكراب والسقي معا فهو إحياء، أما اذا وجد فقط فهو تحجير، وذلك خلافا لأبي يوسف الذي قال: يكون الإحياء قد تم بأحدهما[٧٩].

القول الثاني: قال المالكية يثبت إحياء الأرض بأحد الطرق السبعة وهي:

١- إيصال الماء إليها بواسطة نهر أو بئر.

٢- إذا كانت الأرض منخفضة عن سطح الماء يجب على من أراد إحيائها حمايتها من الغرق، وذلك بإقامة السدود حولها لمنع دخول الماء إليها وخرابها، كما ينبغي دفنها حتى تكون مرتفعة عن مستوى الماء، وقد عدوا هذا من الإحياء؛ لأن الأرض أصبحت جاهزة للزراعة .

٣- إذا كانت الأرض منخفضة وقد غرقت وانغمرت بالماء، حينئذ ينبغي على من أراد إحيائها إزالة الماء عنها أولا، ثم دفنها بالتراب ثانيا، لتكون صالحة للزارعة .

٤- غراستها بالأشجار إذا كانت جاهزة للزارعة .

٥- حراثتها وتقليبها استعداد لزراعتها.

٦- إذا كان إحياء الأرض الميتة لأجل البناء يجب تنظيفها وقطع الشجر عنها لتكون صالحة للبناء.

٧- إذا كانت الأرض حجرية أو جبلية ووعرة ينبغي تسويتها وتعديلها وتقطيع الحجر وتسويته[٨٠].

يقول الدردير[٨١]: والإحياء بتفجير ماء، وبإزالته، وببناء، وغرس، وتحريك أرض، وقطع شجر، وكسر حجرها مع تسويتها، لا بتحويط ورعي كلأ وحفر بئر ماشية إلا أن يتبين الملكية[٨٢].

ويقول ابن عبد البر[٨٣]: وإحياؤها أن يعمل حتى تعود أرضاً بيضاء، تصلح أن تكون مزرعة بعد حالها الأول فإن غرسها بعد ذلك أو زرعها فهو أبلغ في إحيائها وهو مالا خلاف فيه.

ثم يقول: وإنما الإحياء عنده في ميت الأرض شق الأنهار وحفر الآبار والعيون وغرس الشجر والحرث.

وقال أشهب[٨٤]: لو نزل قوم أرضاً من أرض البرية فجعلوا يزرعون ما حولها فذلك إحياء لها وهم أحق بها من غيرهم ما أقاموا عليها[٨٥].

القول الثالث: المشهور عند الشافعية أن طرق الإحياء ثلاثة هي:

١- أن يجمع لها ترابا يحيط بها ويميزها عن غيرها، بحيث يكون ذلك بمثابة السياج، ليعرف الناس بأن هذه الأرض مملوكة لمالك يريد إحيائها.

٢- إيجاد الماء إليها سواء أكان من نهر أو بئر استعدادا لزراعتها.

٣- تسويتها وتعديلها لتكون صالحة لزراعتها ثم سقيها[٨٦].

يقول الشيرازي[٨٧]: والإحياء الذي يملك به أن يعمر الأرض لما يريده، ويرجع ذلك إلى العرف لأن النبي صلى الله عليه وسلم أطلق الإحياء و لم يبين فحمل على المتعارف، فإن كان يريده للسكنى بأن يبني سور الدار من اللبن والآجر والطين والجص إن كانت عادتهم ذلك، أو القصب أو الخشب إن كانت عادتهم ذلك،

ويسقف وينصب عليه الباب، لأنه لا يصلح للسكنى بما دون ذلك، فإن أراد مراحاً للغنم أو حظيرة للشوك والحطب بنى الحائط ونصب عليه الباب، لأنه لا يصير مراحاً وحظيرة بما دون ذلك، وإن أراد للزراعة بأن يعمل لها مسناة وبسوق الماء إليها من نهر أو بئر، فإن كانت الأرض من البطائح بأن يحبس عنها الماء؛ لأن إحياء البطائح أن يحبس عنها الماء، كما إن إحياء اليابس بسوق الماء إليه ويحرثها وهو أن يصلح ترابها. . . .

وإن أراد حفر بئر فإحياؤها أن يحفر إلى أن يصل إلى الماء لأنه لا يحصل البئر إلا بذلك، فإن كانت الأرض صلبة تم الإحياء، وإن كانت رخوة لم يتم الإحياء حتى تطوى البئر لأنها لا تكمل إلا به[٨٨].

القول الرابع: واشترط الحنابلة بناء الحائط، فقالوا: لا يمكن أن يتحقق الإحياء إلا بعد أن يبني المحيي حول الأرض حائطا، فالحائط المنيع عندهم هو المقصود بالإحياء.

يقول البهوتي[٨٩]: " وإحياء الأرض الموات أن يحوزها بحائط بحيث يمنع الحائط ما وراءه، لقوله صلى الله عليه وسلم: "من أحاط حائطاً على أرض فهي له"[٩٠].

ويكون البناء بما جرت به عادة أهل البلد البناء عليه من لبن أو آجر أو حجر أو قصب أو خشب ونحوها سواء أرادها المحيي لبناء أو زرع أو أرادها حظيرة غنم، أو حظيرة خشب ونحوها، ولا يعتبر في ذلك أي في الإحياء تسقيف ولا نصب باب، لأنه لم يذكر في الخبر والسكنى ممكنة بدونه، أو أن يجري لها ماء بأن يسوق إليها ماء نهر أو بئر إن كانت لا تزرع إلا به أي: بالماء المسوق إليها؛ لأن نفع الأرض بالماء أكثر من الحائط، أو أن يحفر فيها بئر ماء، فإن لم يصل إلى الماء فهو للغراس لكثرة أحجارها أو نحوها فينقيها ويغرسها لأنه يراد للبقاء كالحائط، أو أن يمنع عن الموات ما لا يمكن زرعها إلا بحبسه عنها كأرض البطائح، لأنه بذلك يتمكن من الانتفاع بها، ولا يعتبر أن يزرعها ويسقيها، وإن كان من المانع من زرعها كثرة الأحجار كأرض اللجاة ناحية بالشام، فإحياؤها بقلع أحجارها وتنقيتها، وإن كانت غياظاً

وأشجاراً كأرض الشعر فبأن يقلع أشجارها ويزيل عروقها المانعة من الزرع، لأنه الذي يتمكن به من الانتفاع بها ولا يحصل الإحياء لمجرد الحرث والزرع لأنه لا يراد للبقاء بخلاف الغرس، ولا يحصل الإحياء أيضا بخندق يجعله عليها أي حول الأرض التي يريد إحياؤها، أو بشوك وشبهه يحوطها به، ويكون تحجراً لأن المسافر قد ينزل منزلاً ويحوط رحله بنحو ذلك(٩١).

ويقول الشوكاني(٩٢): " والإحياء أن يعمد شخص إلى أرض لم يتقدم ملك عليها لأحد فيحيها بالسقي أو الزرع أو الغرس أو البناء فتصير بذلك ملكه كما يدل عليه أحاديث الباب وبه قال الجمهور"(٩٣).

الترجيح:

ومما سبق يتبين – والله أعلم– أن الراجح ما ذهب إليه بعض الفقهاء أن إحياء الأرض الموات راجع إلى العرف كما هو الحال عند الشافعية والحنابلة وما ذهب إليه الإمام ابن حجر.

عند البناء يكون بالإحاطة واستخدام الطوب والجبس والسقف ووضع الباب إن كان للسكن، وإن كانت للأغنام– أي مراح الغنم بنى الحائط ووضع باباً. إن كانت للزراعة فتكون بحفر بئر وجعل مسناة للأرض أو إزالة الماء عن الأرض، وتنقية الأرض من الملح والحجارة والأشجار والأعشاب، وجر الأنهار أو ماء العيون إليها وحراثتها، ثم غرس الشجر والزرع فيها وتزبيلها وتتم ذلك بتبييض الأرض وتنقيتها للزرع وحفر الخندق وسقي الزرع أو الغرس وإزالة الماء من الأرض وتقطيع الأشجار وتكسير الحجارة وتسويتها.

سبب الترجيح:

وجوب تحقيق الإحياء على وفق قواعد فقهية، وعلى الرغم من اختلاف مظاهره من فقيه لآخر ومن مذهب لآخر، ولكن اتفق الجميع على نتيجة واحدة ألا وهي:

إحياء الأرض الموات واستمرار إحيائها؛ لهذا لا يمكن ترك الناس وحدهم يحيون الأرض ويتصرفون بها كيفما شاؤوا دون متابعة، بحيث يحيي المكلف الأرض على هواه، ويمتلك ما يريد امتلاكه منها ويبيع ما يريد بيعه، أو يترك ما تبقى من الأرض ميتة، فإذا غابت الصرامة في تطبيق الأحكام الفقهية على طرق الإحياء، عندئذ ستنتهي الحال إلى طرق تخريب منظمة تتحرك بفوضى وارتباك، وحينئذ يصعب إصلاح الأرض وإحياؤها من جديد.

ويكون البناء بما جرت به عادة أهل البلد البناء عليه من لبن أو آجر أو حجر أو قصب أو خشب ونحوها سواء أرادها المحيي لبناء أو زرع أو أرادها حظيرة غنم، أو حظيرة خشب ونحوها، ولا يعتبر في ذلك أي في الإحياء تسقيف ولا نصب باب، لأنه لم يذكر في الخبر والسكني ممكنة بدونه، أو أن يجري لها ماء بأن يسوق إليها ماء نهر أو بئر إن كانت لا تزرع إلا به أي بالماء المسوق إليها؛ لأن نفع الأرض بالماء أكثر من الحائط، أو أن يحفر فيها بئر ماء، فإن لم يصل إلى الماء فهو للغراس لكثرة أحجارها أو نحوها فينقيها ويغرسها لأنه يراد للبقاء كالحائط أو أن يمنع عن الموات ما لا يمكن زرعها إلا بحبسه عنها كأرض البطائح، لأنه بذلك يتمكن من الانتفاع بها ولا يعتبر أن يزرعها ويسقيها، وإن كان المانع من زرعها كثرة الأحجار كأرض اللجاة ناحية بالشام، فإحياؤها بقلع أحجارها وتنقيتها، وإن كانت غياظاً وأشجاراً كأرض الشعر فبأن يقلع أشجارها ويزيل عروقها المانعة من الزرع، لأنه الذي يتمكن به من الانتفاع بها ولا يحصل الإحياء لمجرد الحرث والزرع لأنه لا يراد للبقاء بخلاف الغرس، ولا يحصل الإحياء أيضا بخندق يجعله عليها أي حول الأرض التي يريد إحياءها، أو بشوك وشبهه يحوطها به، ويكون تحجراً لأن المسافر قد يترل متزلاً ويحوط رحله بنحو ذلك[٩٤].

خاتمة البحث:

إن المتدبر للنصوص القرآن لكريم يجد أن الله جل وعلا في قوله: (هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب) عطف استعمار الإنسان الأرض، على إنشاء الإنسان منها، بما يعكس أهمية وظيفة العمارة من وراء إرادة خلق الله تعالى للإنسان، بجانب المهمة الأساسية للخلق، وهي العبادة، على قاعدة (وما خلقت الإنس والجن الاليعبدون).

ولعله ليس هناك ما يمنع من التوسع، في فهم دلالة وظيفة الإعمار، المناطة بالإنسان، لتكون بلغة العصر، القيام بإحداث عملية التنمية، والتصنيع، وممارسة التمدن، وصنع الحضارة، بجانب القيام بالتكاليف الدينية. وبذلك تكون المسؤولية الحضارية، التي تقع على كاهل الإنسان في صنع التحضر، وإحداث التنمية، والارتقاء بالحال باستمرار، نحو الأفضل، جزءاً من مسؤولية التكليف العامة، المناطة به ابتداءً في الحياة الدنيا،

وإن إسهام الشباب في هذا الإعمار من شأنه أن يدفع نحو تحقيق تقدم البلاد، وضمان رفاهية الناس، تناغما مع توجيهات الهدي النبوي الكريم، في التنبيه على أهمية توظيف فترة الشباب في العمل الصالح المثمر.

ومن هنا يتطلب الأمر، ان يكون المسلم الحقيقي، إنسانا مؤثرا في مجتمعه، وليس مجرد مستقبل لآراء الآخرين، ومستهلكا لابداعاتهم، وأسير أمجاد قديمة، قد لم يعد بعضها، يتماشى، بتقادمه، وتهالكه، مع معطيات حركة التطور المتسارعة، وهو ما يستدعي قدرات الشباب من حيث توفر العزيمة القوية، والإرادة صلبة، من أجل بناء الأوطان وإعمار الأرض.

ومن أجل تمكين الإنسان من هذه المهمة فقد جاءت أحكام الشريعة الإسلامية منسجمة في مجموعة من الأوامر والنواهي التي تضمن تحقيق هذه المهمة، ورتب على مخالفة هذه التشريعات عقوبات مادية ومعنوية في الدنيا والآخرة، وجعل الكون كله مسخر للإنسان، وأمره بالجد والاجتهاد وبذل كل ما بوسعه من الفكر والعمل قال الله تبارك وتعالى: { وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَوَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ

تَعْمَلُونَ} [سورة التوبة:١٠٥]، وقال صلى الله عليه وسلم: " ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة، إلا كان له به صدقة "[رواه البخاري]، وهذه العمارة المطلوبة لا تتوقف ولا تنتهي عند زمن ولا عند حدث بل هي مستمرة إلى نهاية الدنيا وزوالها كما قال صلى الله عليه وسلم: (إن قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة– أي: نخلة صغيرة–فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها" [أخرجه الإمام أحمد].

وقد أبان البحث عبر صفحاته عن جانب مهم من إعمار الأرض يتمثل في إحياء الأرض الموات، ومدى أهمية مشاركة الشباب في هذا العمل الذي تطلب العزيمة والجهد حتى يؤتي الزرع حصاده، وهنيئًا للشباب إذا ما وظفوا طاقاتهم الجبارة في هذا العمل الصالح، الذي يعود أثره بالخير على المجتمع والوطن أجمع، بما يحقق أهداف التنمية المستدامة، ويسهم في توفير الأمن الغذائي لوطننا الغالي.، الذي نسأل الله أن يحفظه ويحفظ شبابه ويديم عليه بسط الأمن والسلامة.

الهوامش والإحالات

[١]–سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني برقم ٩٤٦ أخرجه الترمذي (٦٧/٢) وأبو يعلى في مسنده (٢/٢٥٤) والطبراني في المعجم الكبير ١/٤٨/١) والصغير (رقم ٦٤٨ – الروض) وبن عدي في الكامل (ق ١/٩٥) والبيهقي في الشعب (١٧٨٤/٢٨٦/٢) والخطيب (١٢ /٤٤٠) وبن عساكر في تاريخ دمشق (١٨٢/٥/ ١و ١٢/ ٢٣٩/ ٢) عن ابن مسعود وقال الألباني وله شواهد من حديث أبي برزة الأسلمي ومعاذ بن جبل.

[٢]–تحفة المحتاج في شرح المنهاج ٦/ ٢١١، ٢١٢.

[٣]–انظر ترجمته في: باعمرو: نفائس الدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، مقدمة الفتاوى الكبرى.

الفقهية (١/٣-٥). العيدروس: النور السافر (ص ٢٨٧-٢٩٢)، الشعراني: الطبقات الصغرى (١٢٥-١٢٦). الغزي: الكواكب السائرة (٣/١١١-١١٣). ابن العماد: شذرات الذهب (٨/٣٧٠-٣٧٢).

الخفاجي: ريحانة الألباء (١/٤٣٥-٤٣٦). ابن الغزي: ديوان الإسلام (٢/٢٠٠-٢٠٢). الشوكاني: البدر الطالع (١/١٠٩).مرداد: مختصر نشر النور و الزهر (١٢٢-١٢٤). الكتاني: فهرس الفهارس

(١/٣٣٧-٣٤٠). الزركلي: الأعلام (١/٢٣٤).

(٤)- قرية سلمنت هي إحدى القرى التابعة لمركز بلبيس في محافظة الشرقية في جمهورية مصر العربية.

الفقهية (١/٣-٥). العيدروس: النور السافر (ص ٢٨٧-٢٩٢)، الشعراني: الطبقات الصغرى (١٢٥-١٢٦). الغزي: الكواكب السائرة (٣/١١١-١١٣). ابن العماد: شذرات الذهب (٨/٣٧٠-٣٧٢).

الخفاجي: ريحانة الألباء (١/٤٣٥-٤٣٦). ابن الغزي: ديوان الإسلام (٢/٢٠٠-٢٠٢). الشوكاني: البدر الطالع (١/١٠٩).مرداد: مختصر نشر النور و الزهر (١٢٢-١٢٤). الكتاني: فهرس الفهارس

(١/٣٣٧-٣٤٠). الزركلي: الأعلام (١/٢٣٤).

(٥)-الفاكهي: مقدمة الفتاوى الفقهية (١/٣).

(٦)-الغزي: الكواكب السائرة (٣/١١٣).

(٧)- هو الإمام أبو المكارم نجم الدين محمد بن محمد الغزي العامري الدمشقي الشافعي (٩٧٧-١٠٦١هـ) محدث الشام ومسندها. من كتبه: الكواكب السائرة في تراجم أعيان المائة العاشرة، ولطف السمر وقطف الثمر من تراجم الطبقة الأولى من القرن الحادي عشر، وغيرها انظر: المحبي، خلاصة الأثر (٤/١٨٩). الزركلي: الأعلام (٧/٦٣).

[٨]– الكواكب السائرة ٣/١١٣).

[٩]– الزبيدي : تاج العروس (٩/٩٨).

[١٠]– باعمرو: نفائس الدرر (٢/٨٣)، العيدروس: النور السافر (٢٩١)، الغزي: الكواكب السائرة(٣/١١١).

[١١]– باعمرو: نفائس الدرر (٢/٩٢).

[١٢]– مقدمة الفتاوى الفقهية (١/٣)

[١٣]– باعمرو: نفائس الدرر (٢١٦)، العيدروس: النور السافر (٢٩١).

[١٤]– باعمرو: نفائس الدرر (٢١١)

[١٥]– مقدمة الفتاوي الفقهية (١/٣).

[١٦]– انظر: المرجعين المتقدمين.

[١٧]– العيدروس: النور السافر (٢٩٢).

[١٨]– البغدادي: هدية العارفين (٥/١٤٦)، الكتاني: فهرس الفهارس (١/٣٣٨).

[١٩]– الغزي: الكواكب السائرة (٣/١١٣).

[٢٠]– باعمرو: نفائس الدرر.(٢)، العيدروس: النور السافر (٢٨٨)، الغزي: الكواكب السائرة (٣/١١٣).

[٢١]– الغزي: الكواكب السائرة (٣/١١١).

[٢٢]– هو أبو بكر بن عبد الله با عمرو السيفي اليزني الحضرمي– كان موجودة سنة ٩٧٤هـ

(٢٣)- نفائس الدرر (٢).

(٢٤)– أكثر هذا المبحث مستفاد من باعمرو في نفائس الدرر، ومقدمة الفتاوى الفقهية"، وما لم يكن فيهما أنكر مصري فيه.

(٢٥)– ابن حجر: الفتاوى الحديثية (٣٢٥).

(٢٦)– انظر ترجمته في شيوخ ابن حجر (ص ٢٢).

(٢٧)– العيدروس: النور السافر (٢٨٩)

(٢٨)– ثبت ابن حجر–مخطوط ورقة (٩ب ١١٠).

(٢٩)– الغزي الكواكب السائرة (١:١٩٦– ٢٠٧) ، العيدروس : النور السافر (١٢٠ – ١٢٤) ، الشعراني : الطبقات الصغرى (٣٦ وما بعدها) . الكتاني : فهرس الفهارس (٤٥٨/١) ، الزركلي : الأعلام (٣/ ٤٦).

(٣٠)– الكواكب السائرة (١/ ٤٥٨).

(٣١)– الكتاني : فهرس الفهارس (٤٥٨/١) :

(٣٢)– انظر ترجمه في : الشعراني الطبقات الصغرى (٤٩)، الغزي : الكواكب السائرة (٢٢١/١–٢٢٣)،العيدروس : النور السافر ١٥٢–١٥٥)،الكتاني : فهرس الفهارس (١٠٠٠/٢).

(٣٣)– الغزي : الكواكب السائرة (٢٢١/١).

(٣٤)– مرجع سابق.

(٣٥)– نفس المرجع.

(٣٦)– النور السافر (١٥٤) .

(٣٧)– الكواكب السائرة (١٢٠/٢).

(٣٨)– الطبقات الصغرى (ص ٦٦).

(٣٩)– الكواكب السائرة (١١٩/٢)، الأعلام (١٢٠/١) .

(٤٠)– شذرات الذهب (٣٧/٨).

(٤١)– ريحانة الألبا (٤٣٥/١).

(٤٢)– النور السافر (ص٢٨٧).

(٤٣)– لطف السمر وقطف الثمر (٥٦٨/٢).

(٤٤)– خلاصة الأثر (١٩٥/٣–١٩٦) وانظر: المرجع السابق أيضا.

(٤٥)– الكواكب السائرة (١٢٤/٣).

(٤٦)– شذرات الذهب (٤٢٥/٨).

(٤٧)– شذرات الذهب (٤٣٤/٨).

(٤٨)– المرجع السابق.

(٤٩)– الكواكب السائرة (٣)١٢٤) .

(٥٠)– شذرات الذهب (٨/٤٣٤).

(٥١)– انظر: المرجعين السابقين.

(٥٢)– النور السافر (ص ٣٩٠–٣٩١)

(٥٣)– الكواكب السائرة (٣/١٢٤).

(٥٤)– الكواكب السائرة (٣/١٢٤).

(٥٥)– خلاصة الأثر (٣/٢١٠–٢١١).

(٥٦)– مخطوط ورقة (١/٦٣).

(٥٧)– الكتاني: فهرس الفهارس (١/٣٣٨).

(٥٨)– ابن العمادة الشذرات (٨/٣٦٩)، الغزي: الكواكب السائرة (٣/١١٢)، ابن الغزي: ديوان الإسلام (٢/٢٠٢)

(٥٩)– باعمرو: نفائس الدرر (ص١٠)، العيدروسي: النور السافر (ص٢٨٧)، وغيرهما.

(٦٠)– المحبي: خلاصة الأثر (٢/٤٢٧).

(٦١)– فهرس الفهارس (١/٣٣٨)، والكتاني هو: العلامة المحدث محمد عبد الحي بن عبد الكبير الحسني الإدريسي الغزي (ت ١٣٨٢ هـ) كان صدرا من صدور المغرب، ذخرت خزانته بالنفائس. له: فهارس الفهارس والأثبات، التراتيب الإدارية، ثلاثيات البخاري، وغير ذلك. انظر: الأعلام (٦/١٨٨).

(٦٢)– نفائس الدرر (ص ٤).

(٦٣)– الكواكب السائرة (٣/ ١١٢).

(٦٤)– ريحانة الألباء (١/٤٣٥).

(٦٥)– ديوان الإسلام (١/٢٠٠–٢٠١).

(٦٦)– حاشية ابن قاسم على التحفة (١/٤).

(٦٧)– البدر الطالع (١/١٠٩).

(٦٨)– غاية تلخيص المراد من فتاوي ابن زياد (٢٩٤).

(٦٩)–تحفة المحتاج في شرح المنهاج ٦/ ٢١١، ٢١٢.

(٧٠) سورة فاطر: الآية ٩. انظر: لسان العرب: مادة (حياء).

(٧١) انظر: القاموس الفقهي ١٠٨/١ .

(٧٢) انظر: القاموس الفقهي ١٠٩/١ .

(٧٣) لسان العرب: مادة (موت).

(٧٤) البحر الرائق (كتاب إحياء الموات) ٣٣٨/٨ .

(٧٥) انظر: أحكام القرآن: الجصاص ١٦٥/٣. الجامع لأحكام القرآن: القرطبي ٥٦/٦.

(٧٦) علاء الدين السمرقندي (؟ – نحو ٥٧٥هـ) : هو محمد بن أحمد بن أبي أحمد، علاء الدين، أبو منصور، وقيل : أبو بكر، السمرقندي، فقية، حنفي، تفقَّه على أبي المعين ميمون المكحولي، وعلى صدر الإسلام أبي اليسر البزدوي . وتفقَّهت علية ابنته فاطمة العالمة الصالحة، وتفقَّه علية أيضًا زوجها أبو بكر بن مسعود الكاساني وغيره . من تصانيفه : " تحفة الفقهاء " . [انظر: الجواهر المضية ٣ / ١٨، ومعجم المؤلفين ٦ / ٢١٢] .

(٧٧) تحفة الفقهاء (٣٢٢/٣)، وانظر بدائع الصنائع (١٩٥/٦).

(٧٨) أبو يوسف (ــ ١٨١ هـ) : هو يعقوب بن إبراهيم بن حبيب . القاضي الإمام . من ولد سعد بن حبتة الأنصاري صاحب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ . أخذ الفقه عن أبي حنيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو المقدم من أصحابه جميعًا . ولي القضاء للهادي والمهدي والرشيد . وهو أول من سمي قاضي القضاة، وأول من اتخذ للعلماء زيًّا خاصًّا . من تصانيفه : " الخراج "، و " أدب القاضي "، و " الجوامع " [انظر: الجواهر المضية ص٢٢٠ ــ ٢٢٢، والبداية والنهاية ١٠ / ١٨٠]

(٧٩) انظر: البحر الرائق ٢٤٠/٨. اللباب في شرح الكتاب ٢٤٢/١. الدر المختار ٤٣١/٦.

(٨٠) انظر: المدونة الكبرى ٤٧٣/٤. التاج والاكليل ١٢/٦.

(٨١) الدَّرْدِير (١١٢٧ – ١٢٠١ هـ) هو أحمد بن محمد بن أحمد العدوي، أبو البركات . فاضل من فقهاء المالكية . ولد في بني عدي (بمصر)، وتعلم بالأزهر، وتوفي بالقاهرة . من تصانيفه : " أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك "، و " منح القدير " شرح مختصر خليل، في الفقه . [الأعلام ٣ / ٢٣٢، وشجرة النور ص ٣٥٩].

(٨٢) انظر الشرح الصغير (٤/٩٣)،

(٨٣) ابن عبد البر (٣٦٨ – ٤٦٣ هـ) :هو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري الحافظ، أبو عمر . ولد بقرطبة . من أجِلَّة المحدثين والفقهاء، شيخ علماء الأندلس، ومؤرخ أديب، مكثر من التصنيف . رحل رحلات طويلة وتوفي بشاطبة . من تصانيفه : " الاستذكار في شرح مذاهب علماء الأمصار "، و " التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد "، و " الكافي " في الفقه . [شجرة النور ص ١١٩، الأعلام ٩ / ٣١٧].

(٨٤) أشهب (١٤٥ – ٢٠٤ هـ) هو أشهب بن عبد العزيز بن داود، القيسي العامري الجعدي . فقية الديار المصرية في عهده . كان صاحب الإمام مالك . قال الشافعي : ما أخرجت مصر أفقه من أشهب لولا طيش فيه . قيل : اسمه مسكين، وأشهب لقب له . مات بمصر . [الأعلام للزركلي ١ / ٣٣٥، وتهذيب التهذيب ١ / ٣٥٩، ووفيات الأعيان ١ / ٧٨].

(٨٥) الاستذكار (٦/١٤٦).

(٨٦) انظر: الأم: محمد بن ادريس الشافعي ٤/٤١و٤٢. المجموع شرح المهذب: أبو اسحاق الشيرازي ١٥/٢١٣.

(٨٧) الشيرازي (٣٩٣ – ٤٦٧ هـ) هو إبراهيم بن علي بن يوسف، أبو إسحاق، جمال الدين الشيرازي . ولد بفيروز آباد (بليدة بفارس) نشأ ببغداد وتوفي بها . أحد الأعلام، فقية شافعي . كان مناظرًا فصيحًا ورعًا متواضعًا . قرأ الفقه على أبي عبد الله البيضاوي وغيره، ولزم القاضي أبا الطيب إلى أن صار معيده في حلقته . انتهت إلية رئاسة المذهب، بنيت له النظامية ودرّس بها إلى حين وفاته . من تصانيفه : " المهذب "

في الفقه، و " النكت " في الخلاف، و " التبصرة " في أصول الفقه . [طبقات الشافعية الكبرى ٣ / ٨٨، وشذرات الذهب ٣ / ٣٤٩، ومعجم المؤلفين ١ / ٦٨] .

(٨٨) المهذب (٣/٢١٥-٢١٦)، وانظر بالتفصيل النووي، المجموع (١٥/٢١١-٢١٣)،

(٨٩) البهوتي (١٠٠٠ – ١٠٥١ هـ) :هو منصور بن يونس بن صلاح الدين بن حسن بن إدريس البهوتي . فقية حنبلي، وشيخ الحنابلة بمصر في عهده . نسبته إلى (بهوت) في الغربية بمصر . له " الروض المربع بشرح زاد المستقنع المختصر من المقنع "، و " كشاف القناع عن متن الإقناع " للحجاوي، و " دقائق أولي النهى لشرح المنتهى " وكلها في الفقه . [الأعلام للزركلي ٨ / ٢٤٩

(٩٠) أخرجه أبو داود في سننه ٣٠٧٧ .

(٩١) كشاف القناع (٤/١٩١)، المغني (٨/١٧٦-١٧٩)،

(٩٢) الشوكاني (١١٧٣ – ١٢٥٠ هـ) هو محمد بن علي بن محمد الشوكاني فقية مجتهد من كبار علماء صنعاء اليمن . ولد بهجرة شوكان (من بلاد خولان باليمن) ونشأ بصنعاء، وولي قضاءها سنة ١٢٢٩ هـ ومات حاكمًا بها . وكان يرى تحريم التقليد . له ١١٤ مؤلفًا . من مصنفاته : " نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار " للمجد بن تيمية، و " فتح القدير " في التفسير، و " السيل الجرار " في شرح الأزهار في الفقه . و " إرشاد الفحول " في الأصول . [الأعلام للزركلي، ونيل الأوطار ١ / ٣] .

(٩٣) نيل الأوطار (٦/٤٥).

(٩٤) كشاف القناع (٤/١٩١)، المغني (٨/١٧٦-١٧٩)،